البعد الزماني والمكاني وأثرهما في فهم السنة النبوية
حديث " جئتكم بالذبح" أنموذجاً

(PP 363 - 373)

https://doi.org/10.21271/zjhs.23.s4.24

عمران محمد المزوري

كلية العلوم الإسلامية / جامعة صلاح الدين- أربيل

Imran.ismael@su.edu.krd

Supplementary Vol.23, No.4, 2019
The Texts and Heritage:
"Readings and Reviews"

ملخص

تتناول هذه الورقة البحثية الموسومة " البعد الزماني والمكاني وأثرهما في فهم السنة النبوية - حديث جئتكم بالذبح- أنموذجا"، مسلكاً علمياً دقيقاً في فهم الأحاديث النبوية وتفسيرها ألا وهو الاعتبار لظروف الحديث وملابساته عند التصدي له بالشرح والبيان حيث الفهم لا يكون دقيقا وسليما بمعزل عن تلكم الحالات الزمانية والمكانية المحيطة به، وأي محاولة أو سعي لفصل النصوص النبوية عن سياقاتها التاريخية وملابساتها الزمانية والمكانية هو بمثابة قطع شريان الحياة منها، يؤدي إلى الخلل في الفهم والزلل في العمل كما نراه اليوم في تصرفات كثيرٍ ممن يقومون بممارسات شنيعة قبيحة باسم المنهاج النبوي انطلاقاً من فهوم خاطئة وبناء على تفاسير غير علمية وتجاهلاً للقواعد الحديثية والأصولية التي قررها علماؤنا للتعامل مع النصوص النبوية، وحديث" جئتكم بالذبح" أنموذج حي في هذا المضمار حيث اعترته شطحات وشابته مغالطات جاءت من تفسيرات خاطئة له من قبل طرفين متناقضين في الفكر والمتفقين في الفهم لهذا الحديث، حيث يفسره الطرف الأول المتمثل في بعض الكتاب المتطفلين على مائدة العلم والعلماء بأنه يدعو إلى الإرهاب والذبح وقتل الانسان بشكل لا يناسب وكرامته التي منحها الله تعالى إياه وبناء على ذلك يرد الحديث ويكذبه تحت شعار الدفاع عن الإسلام وسيرة النبيT وسنته، والطرف الثاني المتمثل في بعض الجماعات والتنظيمات المنتسبة إلى الإسلام زوراً يطبق ما قاله الأول باسم اتباع السنة النبوية وآخرها تنظيم "داعش" الذي أهلك الحرث والنسل بدعوى إحياء الخلافة الإسلامية على المنهاج النبوي، فحاول البحث دفع ما ألصق بهذا الحديث الشريف الصحيح من فهوم خاطئة بأسلوب علمي دقيق مراعياً الظروف والملابسات الزمانية والمكانية في الفهم والتفسير، وبين بأن الحديث لايفيد تلكم المعاني السلبية التي ألصقت بها زوراً؛ والذبح لا يعني قتل الانسان بالصورة البشعة التي يفهمه العوام؛ بل يفيد معنى الهلاك والقتل وقالهT ذلك على سبيل التخويف والتهديد لصناديدي قريش وذلك لمواجهة موقف خاص منهT تجاه مشركي قريش ومعالجة ظرف صعب مرت به الدعوة الإسلامية في العهد المكي المليء بالظلم والاضطهاد بالنسبة لهT والمؤمنين، وما أدل على ذلك من أنه لم يثبت عن النبيT بأنه أمر بقطع رأس أو حُمل إليه رأس أحدٍ طوال تاريخ دعوته في مرحلتي السرّ والعلن، وفي حالتي السراء والضراء، وفي زمني الضعف والقوة.

مفتاح البحث: البعد، الزمان، المكان، حديث، جئتكم، بالذبح.

1- المقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه. أما بعد: فلا يخفى على الدارس المتأمل في النصوص الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة أنها لا يمكن فهمها وتفسيرها بشكل سليم ودقيق بمعزل عن ظروفها وملابساتها الزمانية والمكانية، ومن الحديث النبوي الشريف على الخصوص ما سيق في مساق تاريخي خاص أو ظرف معين أو حالة محددة فينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار حين التصدي له بالشرح والبيان وإلا فتعتري الفهوم شطحات وتشوب التفاسير طامات يلتبس الحق فيها بالباطل، والهدى بالضلال، ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث ليتناول حديثاً نبوياً شريفاً بالدراسة والنقد والبيان ألا وهو قولهT الموجّه إلى صناديد قريش في ظرف زمني خاص:((**جئتكم بالذبح**))، ليدفع عنه ما ألصق به من مغالطات وشبهات حيث اتخذه بعض الغلاة أمثال تنظيم "داعش" مستنداً لأفعالهم القبيحة وممارساتهم الوحشية بحق الانسان هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدّه البعض الآخر باسم التجديد والتنوير من الأحاديث المسيئة إلى شخصية الرسولT والمشينة لسيرته فيجب ردّه وتكذيبه، وبذلك يكون كلا الطرفين مشتركين في الفهم والتفسير لكنهما مختلفان في قبوله ورده، وعليه فيحاول هذا البحث بيان المعنى الصحيح والمفهوم الدقيق للحديث مراعياً الظروف والملابسات التي أحاطت به، وذلك في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، كالآتي:

فأما المقدمة فهذه هي.

والمبحث الأول خصص لبيان مفهوم البعد الزماني والمكاني في الحديث النبوي الشريف وأثرهما في فهمه.

وفي المبحث الثاني ذكر نص الحديث ثم تخريجه وفق قواعد المحدثين ومن ثم الحكم عليه صحة أو ضعفاً.

والمبحث الثالث يتصدى لإيضاح المفهوم الصحيح والمعنى الدقيق للحديث في ضوء ظروفه وملابساته الزمانية والمكانية. ثم تأتي الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث. وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.

2- مفهوم البعد الزماني والمكاني وأثرهما في فهم السنة النبوية

نتناول في هذا المبحث مفهوم البعد الزماني والمكاني في السنة النبوية مع بيان أثرهما في فهمها، وذلك فيما يأتي:

أولاً: مفهوم البعد الزماني والمكاني:

البعد الزماني والمكاني علم جديد في الحديث النبوي وأول من أدرجه في علوم الحديث وذكره بجانب العلوم الحديثية الأخرى هو الشيخ الدكتور أبو الليث الخير آبادي في كتابه القيم "علوم الحديث أصيلها ومعاصرها" (2009م، ص321)، وعرفهما بقوله:

" **البعد الزماني**: هو ظروف الناس وحالاتهم التي تعامل معها النبيT من خلال زمن النبوة الذي استغرق ٢٣ سنة .

البعد المكاني: هو ظروف الجزيرة العربية وحالاتها من بيئتها ومناخها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها ومشاغلها واهتماماتها، والتي تعامل معها النبيT خلال زمن النبوة الذي استغرق ٢٣ سنة."

ويظهر من تعريف الشيخ بأن البعدين عبارة عن الملابسات الزمانية والمكانية التي سيق فيها نص الحديث، وجاء بياناً لها وعلاجاً لظروفها، وعليه لا يمكن فهمه فهماً سليماً دقيقاً إلا بمعرفتها، فينبغي اعتبارها عند التصدي لتفسيره وشرحه واستنباط الأحكام منه وتحديد المراد منه بدقة كي لا يتعرض لشطحات الظنون، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود، لأنه لا يخفى على الناظر المتعمق في الأحاديث أن من الحديث ما بني على رعاية ظروف مكانية أو زمانية خاصة، ليحقق مصلحة معتبرة، أو يدرأ مفسدة معينة، أو يعالج مشكلة قائمة في ذلك الوقت، مفهومةً من الواقع الذي سيق فيه الحديث (القرضاوي، 2008م، ص145-146).

ومما يجدر بالإشارة أن علم البعد الزماني والمكاني جديد من حيث التسمية وإلا فجذوره موجود في كتب القدامى وتطبيقاتهم بحيث يمكننا القول بأنه: علم قديم التطبيق وحديث التقعيد، أي أنه تم مراعاة مبادئ هذا العلم عند القدامى في التعامل مع النصوص الشرعية بشكل عام والسنة النبوية على الخصوص؛ لكنه تم جمع مسائله وضبطها حديثاً وهذا يتبين بوضوح في النماذج التطبيقية التي أتى بها الباحثون حيث نجد كلها مبنية على القواعد الأصولية ومبادئها التي قررها علماؤنا القدامى الذين لم يعتكفوا على الدلالات اللغوية المجردة المنحصرة في مفردات التخاطب؛ بل عمدوا إليها وإلى كل ما يحيط بالخطاب, وهو ما يسمى بمقام الخطاب, أو ببيئة الخطاب, أو مقتضى الحال, أو سياق المقام أو ما شاكلتها من المسميات, وفي هذا الصدد يقول الإمام الآمدي -رحمه الله- (14/1) " دلالات الألفاظ ليست لذواتها, بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته ", وأوضح الإمام الشاطبي (1997م، 146/4) ذلك بدقة ويقول: "معرفة مقاصد كلام العرب, إنما مداره على مقتضيات الأحوال: حال الخطاب, أو المخاطَب, أو المخاطِب, أو الجميع, إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين, وبحسب مخاطبين, وبحسب غير ذلك... ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجية, وعمدتها مقتضيات الأحوال"، وقال في موضع آخر بأن: مقتضيات الأحوال هي ملاك البيان. (الشاطبي، 1997م، 21/4).

ثانيا: علاقته بالعلوم الحديثية الأخرى:

ولهذا العلم علاقة وثيقة بعلم أسباب ورود الحديث الذي هو بمثابة أسباب نزول القرآن في أهميتها في تفسير النصوص تفسيراً ملائماً موافقاً لمقصد الشارع الحكيم؛ لكنه أعم منه وأشمل من حيث أنه يشمل كل الأحاديث الصادرة عن النبيT خلال زمن النبوة بمختلف مراحلها التاريخية وأطوارها وأمكنتها، بينما أسباب ورود الحديث تندرج تحته أحاديث معدودة ومحددة ذكرها المحدثون في كتب مستقلة وفي ثنايا شروحاتهم للمصنفات الحديثية، كما هو الحال بالنسبة لأسباب نزول القرآن حيث ليس لكل آية أو سورة سبب خاص؛ لكن لِكل وَحدة من القرآن لها ظروفها وملابساتها الزمانية والمكانية التي تؤثر في فهمها وتفسيرها (آبادي، 2009م، ص321).

ثالثاً: القواعد الأصولية المرعية فيه:

قلنا سابقاً أنه علم قديم التطبيق بمعنى أنه تم مراعاة مبادئ هذا العلم عند العلماء القدامى، لكنه تم تأسيسه حديثاً من ضبط مسائله وبيان قواعده وفق القواعد الأصولية التي قررها الأصوليون والفقهاء منذ القدم، ويتضح ذلك جليا في النماذج التطبيقية التي أتى بها الباحثون في معرض بيان ضوابط هذا العلم مثل مسألة منع النبيT من التسعير، ورخصتهT في بيع السلم والعرايا وما شابه ذلك، ومن أبرز تلكم القواعد المرعية فيه هي:

1. الضرورات تبيح المحظورات.
2. تغيير الأحكام بتغيير الزمان والمكان.
3. الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.
4. مبدأ سد الذرائع.

وغيرها من القواعد الأصولية ومبادئها التي تفيد مراعاة العادات والأحوال والمصالح في التعامل مع النصوص الشرعية وتفسيرها واستنباط الأحكام منها(الغوري، 2017م، ص184. و آبادي، 2009، 324).

رابعا: أثر البعدين في فهم السنة النبوية:

يتبين لنا مما سبق بأن للبعدين أثر واضح وظاهر في فهم الأحاديث النبوية إذا تم مراعاتهما وأخذهما بنظر الاعتبار، يمكن أن نلخصلها فيما يأتي :

1.فهم الحديث فهماً دقيقاً سليماً موافقاً لحال النبي T ورسالته وغايتها؛ لأن دارسه يبحث عما وراءه من علل ومقاصد ودوافع ليأتي له بتفسير مناسب.

2.إزالة التعارض سواء كان بين الأحاديث أو بينها وبين غيرها من الأدلة الشرعية وقواعدها؛ لأن ظروف كل دليل أو حديث تختلف عن الآخر، وعليه فيُفسَّر ما ورد في كل باب أو مسألة من حديث نبوي حسب ما أحيط به من ملابسات زمانية ومكانية ليحول دون اصطدام معناه ومفهومه بدليل آخر.

3.إزالة الإشكال واللبس في معنى الحديث ومفهومه وذلك بالتجنب من الجري وراء ظاهر غير مقصود الأمر الذي يعين الدارس على تجاوز ما يشوب الحديث من لبس في ذهنه أو غموض في فهمه في أول الأمر.(القرضاوي، 2008م، ص145. و آبادي، 2009م، ص355. و الدوسي، 2002م، ص156)

وعليه يتم تبرئة السنة النبوية مما يلصق بها من اتهامات جائرة، وشبهات واهنة، وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته نموذج حي في هذا المضمار، وسينجلي لنا ذلك في الصفحات الآتية بإذن الله تعالى.

3- تخريج الحديث وبيان درجته

نذكر في هذا المبحث نص الحديث وتخريجه وفق مناهج المحدثين ومن ثم الحكم عليه وبيان درجته صحة أو ضعفاً، وذلك فيما يأتي:

أولا: نص الحديث: عن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص قَالَ: قُلْتُ لَهُ:

((مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهT، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهT، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهT، فَأَقْبَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: **" <u>تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ</u> "**، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا، قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهT ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ، اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عليهم رَسُولُ اللهT ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ، يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهT: " نَعَمْ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ "، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ، قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، دُونَهُ، يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ}[غافر:28] ؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ)).

ثانياً: تخريجه:

روي الحديث بروايات متعددة، وطرق مختلفة، مطولاً مرة ومختصراً مرة أخرى، ونحن نركز هنا على ماروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص وأبيه عمرو بن العاص ذلك لاشتماله على موطن الشاهد في دراستنا هذه وهو قولهT " جئتكم بالذبح" وذلك كالآتي:

1. حديث عبد الله بن عمرو بن العاص**:** روي عنه الحديث مطولاً ومختصراً:

فالرواية المطولة:

وهي المذكورة نصها أعلاه أخرجها أحمد(2001م، 611/11، برقم"7036")، وابن حبان (1988م، 525/14، برقم"6567") قال: أخبرنا أَبو يَعلى، قال: حدثنا أَبو خيثمة. كلاهما (أحمد بن حنبل، وأَبو خيثمة -زهير بن حرب-) عن يعقوب، قال: حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة، فذكره. واللفظ لأحمد.

وأشار البخاري(1422ه، 46/5، عقب حديث رقم " 3856") إلى هذه الرواية، فذكرها تعليقا حيث قال: تابعه ابن إسحاق، قال: حدثني يحيى بن عروة، عن عروة، قال: قلت لعبد الله بن عَمرو.

وأخرجه البزار(2009م، 456/6، برقم"2497")، قال: حدثنا موسى بن عبد الله أبو طلحة، قال: أخبرنا بكر بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عروة، عن أبيه، قال: قلت لعبد الله بن عمرو، فذكره.

والبيهقي(1988م، 275/2)، قال : أخبرناه محمد بن عبد الله الحافظ، ومحمد بن موسى بن الفضل، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة، عن أبيه عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص، فذكر الحديث.

وأما المختصرة :

فقد أخرجها أحمد(2001م، 508/11، برقم"6908") قال: حدثنا علي بن عبد الله. والبخاري (1422ه، 10/5، برقم"3678". وفي 46/5 برقم "3856". وفي 126/6 برقم "4815") قال حدثني محمد بن يزيد الكوفي. ومرة أخرى قال: حدثنا عياش بن الوليد. وثالثة قال: حدثنا علي بن عبد الله.

ثلاثتهم (علي بن عبد الله، ومحمد بن يزيد، وعياش بن الوليد) عن الوليد بن مُسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، حدثني عُروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عَمرو بن العاص:

((أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّT، قَالَ:" بَيْنَا النَّبِيُّT يُصَلِّي فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا " فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّT، قَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [سورة غافر: 28] الآيَةَ)).

وكما يبدو أن هذه الرواية ذكرت اليوم الثاني من القصة دون الأول، ولذا ليس فيه قولهT :((جئتكم بالذبح)).

2. حديث عمرو بن العاص:

أخرجه ابن أبي شيبة (1409هـ، 331/7، برقم "36561")، قال: حدثنا علي بن مسهر. ومن طريقه – أي ابن أبي شيبة- ابن حبان(1988م، 529/14، برقم"6569") ، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلى(1984م، 324/31، برقم "7339") ، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد. كلهم عن علي بن مسهر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عمرو بن العاص قال:

((مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَرَادُوا قَتْلَ رَسُولِ اللَّهT إِلا يَوْمَ ائْتَمَرُوا بِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَرَسُولُ اللَّهT يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ فَقَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ حَتَّى وَجَبَ لِرُكْبَتِهِ وَتَصَايَحَ النَّاسُ وَظَنُّوا أَنَّهُ مَقْتُولٌ. قَالَ: وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يَشْتَدُّ حَتَّى أَخَذَ بِضَبْعِ رَسُولِ اللَّهT مِنْ وَرَاءِهِ وَهُوَ يَقُولُ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [سورة غافر: 28] . ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنِ النَّبِيِّT فَقَامَ رَسُولُ اللَّهT فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ مَرَّ بِهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ إلا بِالذَّبْحِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ» .قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ مَا كُنْتَ جَهُولا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهT: «أَنْتَ مِنْهُمْ»)).

ويظهر أنه يخالف حديث عبدالله بن عمرو بأنه ذكر قولهT: "ما أرسلت إليكم إلا بالذبح" بعدما هاجمهTقريش وأرادوا قتله بخلاف الأولى حيث ذكرته في اليوم الأول من القصة بعدما غمزهT قريش بما يكره، وفيها أيضاً زيادة على الرواية الثانية من حديث عبدالله بن عمرو، وهي قوله:" ثم انصرفوا .. إلى نهاية الحديث"

وهناك روايات أخرى للحديث مروية عن أنس وعلي وأسماء بنت أبي بكر وغيرهم ذكرها ابن حجر في الفتح (1379م، 169/7-170).

ثالثا: درجته:

قبل بيان درجته يحسن بنا التعريف برجال الحديث جرحاً وتعديلاً، ومن ثَمّ ذكر أحكام العلماء والمحدثين على الحديث، ونكتفي ببيان حال من يتحقق به المقصد كالآتي:

رجال حديث عبدالله بن عمرو، الرواية المطولة: وهم:

يعقوب: هو ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وهو من رجال الشيخين، ذكره ابن حبان (1973م، 284/9) والعجلي(1985م، 484/1) في الثقات، وقال يحيى بن معين: " ثقة" (المزي، 1980م، 309/32) .

وأبوه إبراهيم بن سعد: وهو من رجال الشيخين أيضا، وهو ثقة، وثقه أحمد وابن معين.(المزي، 1980م، 90/2) .

ومحمد بن إسحاق: وهو صاحب السيرة واختلفوا في أمره اختلافاً روي عن مالك أنه تكلم فيه لكن شكك ابن حجر فيما روي عنه، ونقل عن غير واحد من الأئمة توثيقه كيحيى بن معين وشعبة والعجلي وغيرهم (ابن حجر،1326ه، 40/9)، ثم لخص الحكم فيه بقوله :"صدوق يدلس"(1986، ص.467) أي أنه مدلس؛ لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت الشبهة.

ويحيى بن عروة بن الزبير: هو ابن العوام القرشي الأسدي. وقال النسائي:"ثقة". (المزي، 1980م، 468/31) ، وذكره ابن حبان في الثقات (1973م، 593/7).

وأبوه عروة بن الزبير: هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أبو عبد الله المدني، قال ابن سعد (1990م، 137/5) : " كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما مأمونا ثبتا" وقال العجلي (1985م، 133/2): " مدني تابعي ثقة، وكان رجلا صالحا لم يدخل في شيء من الفتن".

وأما بالنسبة لرجال الرواية المختصرة:

فبما أن البخاري أخرجها في صحيحه فلا داعي لترجمة رجالها وذلك لتلقي علماء الأمة له بالقبول.

ورجال حديث عمرو بن العاص وهم:

علي بن مسهر: قال الذهبي (1985م، 484/8):" العلامة، الحافظ، أبو الحسن القرشي، الكوفي، قاضي الموصل... فكان من مشايخ الإسلام". وثقه ابن معين، وقال ابن أبي حاتم: صالح الحديث، وقال أبو زرعة: ثقة صدوق. (الرازي، 1952م، 204/6)

ومحمد بن عمرو: هو ابن علقمة، ضعفه يحيى بن سعيد ومالك، وقال أبو حاتم: " صالح الحديث يكتب حديثه وهو شيخ" (الرازي، 1952م، 31/8)، ووثقه يحيى بن معين ، وقال ابن عدي (1997م، 458/7): " له حديث صالح... وأرجو أنه لا بأس به"، ولخص ابن حجر(1986، ص.499) القول فيه قائلاً:"صدوق له أوهام".

وأبو سلمة: هو ابن عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب القرشي، وسماه ابن سعد بأنه: عبدالله الأصغر، وقال: " كان ثقة فقيها، كثير الحديث"(ابن سعد، 1990م، 119/5) ، وقال أبو زرعة : " ثقة إمام". (الذهبي،1985م، 167/5).

هذا، ومما سبق تبين لنا حال رجال أسانيد الحديث برواياته الثلاث بأن كلهم ثقات مقبولوا الرواية رغم وجود ملاحظات قليلة لعلماء الجرح والتعديل على بعضهم، وعليه نجد المحدثين قد حكموا على الحديث بالقبول:

فقد أخرجه ابن حبان في صحيحه بتمامه، والبخاري طرفاً منه – كما سبق-.

وقال شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في تعليقهم على حديث عبدالله بن عمرو المطول في مسند أحمد: " اسناده حسن، ابن إسحاق -وهو محمد- صرح بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين" (أحمد، 2001م، 611/11).

وقال شعيب الأرنؤوط فيه أيضاً في تعليقه على ابن حبان: إسناده قوي.(ابن حبان، 1988م، 526/14). وحسنه الألباني (2003م، 289/9) في تعليقه على ابن حبان.

وحديث عبدالله بن عمرو المختصر فهو في صحيح البخاري – كما سبق-.

وأما حديث عمرو بن العاص قال فيه الهيثمي (1994م، 6/16):" وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح"، وحسنه الأرنؤوط. (ابن حبان، 1988م، 529/14).

وعليه فالحديث مقبول وفق قواعد المحدثين، وهو حديث حسن على الأقل، وذلك علاوة على ما له من شواهد ومتابعات أخرى أشرنا إلى بعضها في التخريج وذكرها ابن حجر في الفتح كما سبق التنبيه عليه.

4- معنى الحديث في ضوء ظروفه وملابساته الزمانية والمكانية

سبق في المبحث السابق بيان ثبوت الحديث، وأنه حديث حسن على الأقل وفق قواعد المحدثين، ونحاول هنا أن نبين معنى الحديث ومفهومه الصحيح في ضوء ظروفه الزمانية والمكانية دفعاً لما ألصق به من مغالطات وفهوم واهية من قبل البعض من المسلمين وغيرهم بأنه يدعو إلى القتل والدمار، كما واستندت إليه جماعات متطرفة لشرعنة جرائمها البشعة من القتل والدمار ونشر الفساد فأهلكت الحرث والنسل باسم الإسلام والخلافة الإسلامية على منهاج النبوة على مرأى من العالم ومسمعهم، وآخرها "داعش" التي فعلت ما فعلت من المنكرات والأفعال البشعة التي تقذرها كل نفس سوية فكيف بها مسلمة وسليمة الفطرة؟!! ، وفيما يأتي نحاول دفع ما سبق ذكره من فهوم واهية عن الحديث ببيان معناه في ضوء بعده الزماني والمكاني:

أولا: ظروف الحديث وملابساته:

لا يخفى على دارس السيرة والسنة النبوية بأن هذا الحديث والحدث وقع في العهد المكي وعلى التحديد في عام الحزن (الندوي، 1425ه، ص.191، حوى، 1995م، 273/1، التيمي، 1418ه، ص.102) حيث كانT يعيش تحت وطأة الظلم والاستخفاف والاستهزاء إلى أقصى حدٍّ، وفيما يأتي نذكر أهم الأحداث التي سبقت الحديث والظروف التي زامنته وكان لها تأثير على صدور حديث مثل هذا عن النبيT :

1. الحصار الاقتصادي والاجتماعي اللذين وضعهما قريش على النبيT وأتباعه وأقربائه ودام لثلاث سنوات وقصته المليئة بالظلم والاضطهاد مشهورة في كتب السيرة (المباركفوري، 1976م، ص.103، العمري، 2013م، ص.208) فبلغ بالنبيT والمؤمنين الجهد وألم بهم أشد الألم حيث كانت آثاره لا زالت باقية على وجه النبيT ولا زال جرحه يَدمى حين وقعت هذه المواجهة بين النبيT ومشركي قريش وصدر عنهT هذا الحديث والقول الشديد.
2. وبعد فترة قصيرة من الخروج من الحصار حيث لم يلتئم جرحه بعد وقعت لهT فاجعتين مؤلمتين لم يقلّ ألمهما من ألم المقاطعة وهما: موت عمه أبي طالب الذي كان وقوفه بجانبه مع ما يتمتع به من مكانة اجتماعية بارزة شدّ أزرٍ له ضد قريش ومنعة وقوة، ووفاة زوجته الوفية خديجة بنت خويلد التي كانت مواساتها الدائمة تمنحه الصبر والسلوان على المصائب وما يتعرض له من أذى وبلاء على يد المشركين، فاهتزت بسبب ذلك مشاعر الحزن والألم في قلب رسول اللهT.(المباركفوري، 1976م، ص.109، العمري، 2013م، ص.210).
3. بعد كل هذه المصائب يأتي قريش ويبدأ من جديد بممارسة كل نوع من أنواع الاستخفاف والسخرية لتبلغ عدواتهم للنبي T منتهاها كما يتضح ذلك جليا في سؤال عروة عن عبدالله بن عمرو حينما قال له: " مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِT، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟" فيجبه عبدالله بن عمرو بقوله " حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِT، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِT، فَأَقْبَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَرَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا" أي أنهم يشيرون إليهT بالجفن أو الحاجب استهزاءً وسخرية، ويأتون بما يُكرههT ويحزنه، أو كانوا يعيرونهT ويعيبونه الأمر الذي زاد من حزنهT وألمه أكثر وأكثر حتى ظهرت آثاره في وجهه وملامحه، و جراحات اللسان لا تقل ألمها عن جراحات الظلم والتعذيب والاضطهاد؛ بل قد تفوقها كما يقول الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ماجرح اللسان (الثعالبي، ص.104).

هذا؛ وقد كان يوم صدور الحديث يوما مشحوناً بالتشاجر بين النبيT ومشركي قريش حيث ألقت عداوة قريش وبغضاءهم بظلهما على علاقاتهم وتعاملهم مع النبيT إلى أقصى حدٍّ، ويحاولون النيل منهT بكل ما أوتيهم من حيلة وقوة حتى قتله والقضاء عليه، فكان يوما مهموماً ومغموماً لرسول اللهT ذلك أن قريش ظنت أنهT بفَقْده عمه وسنده أبا طالب فَقَد القوة والمنعة، ولم يكن هناك من يدافع عنه ويحميه من بطشهم وقد حانت الفرصة لتحقيق ما يحلُمُون به منذ زمن وهو قتلهT والقضاء على رسالته ودعوته التي أزعجتهم وأرقتهم وحرمت النوم من أعينهم.

وقد ظهر لنا من خلال النقاط الثلاث السابقة أن ظروف الحديث وملابساته كانت أياماً صعبة وحرجة بالنسبة للنبيT تستدعي معالجتها بما يلائمها ويناسبها.

ثانياً: معالجة الموقف بما يلائمه:

لايخفى ما للسخريات والاستهزاءات التي مارسها قريش بحق النبيT من وقع شديد الأسى والحزن في نفسهT؛ ولاسيما بعد وفاة أبى طالب ظناً منهم بأنه لم يبق له سنداً يسند إليه ولم يكن هناك مَن يحميه منهم ويدافع عنه، وهذا يتطلب رداً يخرجهT من هذه الحال ويردع القائمين بذلك ردعاً يرد كيدهم في نحورهم، ويُفهمهم بأن القلة في العدة والعدد والضعف في الحول والحيلة لا يعني الاستسلام وقبول الذل والصغار، ويُعلمهم بأنه لا يستمد قوته من فلان وفلان؛ بل الله عزوجل وحده إليه الملجأ والمنجى وعليه يتوكل ويعتمد دون سواه، وهو سنده الحقيقي في دعوته وتبليغ رسالته، وغيره عزوجل ما هو إلا أسباب مادية وظاهرية بفقدانها لا نفقد قوتنا وثباتنا الكامِنَيْن في نفوسنا وضميرنا، وعليه نجد النبيT وقف تجاههم وقوف الجبال الراسيات وأسمعهم قولاً هزّ عروشهم وزلزل الأرض تحت أقدامهم وأعطاهم درساً لن ينسوه أبداً (أبي زهرة، 1425هـ، 182/1)، فقال لهم في كل صمود وثبات **: " تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ" ،** وقد أثّر القول في نفوسهم مباشرة تأثيراً بالغاً ظهرت آثاره تلقائياً في أقوالهم وتعاملهم مع النبيT في اللحظة نفسها كما يقول عبدالله بن عمرو في تكملة حديثه عنه:" فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا، قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِT".

وهذا يعني أن ما قاله النبي Tكان على سبيل التهديد والتخويف ومعالجة الموقف الذي وقع فيه بما يناسبه كما سنبينه في الفقرة التالية.

ثالثاً: معنى " جئتكم بالذبح" :

بالنظر في الظروف المحيطة بالحديث يتبين لنا بأن قولهT هذا كان على سبيل التهديد والوعيد والتخويف لمشركي قريش بالدرجة الأولى ليردعهم ويكفوا عن السخرية منه والاعتداء عليه وعلى أتباعه، وهذه الشدة في القول والمواجهة كانت من مقتضيات تلكم الظروف والملابسات التي سبقت ذكرها وبيانها ولا سيما بعدما حذّره الله عزوجل من ملاطفتهم وملاينتهم حينما كاد أن يخطر بباله أن يبدي لهم بعض الرفق واللين في بعض الأمور في سبيل مصلحة دعوته والتخفيف من وطأتهم عليه وعلى المؤمنين فأنزل الله تعالى منبهاً إياهT :{ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا } [سورة الإسراء: 73-76]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن:

1.الحديث ليس عاماً؛ لأن صيغه كل الروايات مصدرة بقولهT:"**يا معشر قريش**"، فهذه الصِّيغة تنفي ابتداءً حمله على العموم المطلق؛ بل المراد بالخطاب كان أشخاصاً معينين كما سيأتي بيانه.

2.و"**الذبح**" الوارد هنا ليس المراد منه قطع الأوداج كما تذبح الشياه والخراف كما يحلو للبعض أن يفسروا به ويقولوا بأن ما يفعله داعش من ذبح الناس بالوحشية التي نشاهدها اليوم وعلى شاشات التلفزة فمستندهم هو هذا الحديث كما في المقالة المعنونة:" قراءة للحديث النبوي "لقد جئتكم بالذبح " .. مع إشارة لذبح داعش لـ (21 قبطيا)" المنشورة على موقع برطلي(2015م).

ولكن بالتأمل يجد الناظر المتعمق فيه أنه كناية عن القتل والهلاك ويدرك ذلك من له أدنى ذوق لغوي، ومنه قوله تعالى:{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } [البقرة: 49]، أي يقتلون أولادكم الذكور(فخرالدين الرازي، 1420ه، 505/3) ، ومنه أيضاً ما صح من قولهT:((مَن وَلِيَ القضاءَ فقد ذُبِحَ بغير سِكِّين)) (أبوداود، 2009م، 425/5، برقم"3571"، والترمذي، 606/3، برقم" 1325") ؛ معناه التحذير من طلب القضاء والحرص عليه، أي من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح فليحذره؛ والذبح هاهنا مجاز عن القتل والهلاك(العظيم آبادي، 1415ه، 352/9، الحميدي، 1995م، ص.499، الزبيدي، 1994م، 66/7، ابن منظور، 1414ه، 437/2).

ومما يؤيد هذا التفسير هو الواقع العملي في السيرة النبوية حيث لم يُعلم أن النبيT ذبح أحداً على الطريقة التي يفعله داعش وأمثالهم بل وحتى بعد الموت، وما ورد بأن الرسولT قد حُملت له بعض رؤوس أعدائه- أي بعد موتهم لا ذبحهم وهم حي- لم

يثبت من طريق صحيح، كإتيانه برأس كعب بن الأشرف، أو الأسود العنسي، أو رأس رفاعة بن قيس، واحتزاز ابن مسعود لرأس أبي جهل في غزوة بدر، وفي ذلك يقول أبوداود: "في هذا أحاديث عن النبيT لا يصح منها شيء".(أبوداود، 1408م، ص.230) ويقول الزهري : " لَمْ يُحْمَلْ إِلَى النَّبِيِّT رَأْسٌ إِلَى الْمَدِينَةِ قَطُّ , وَلَا يَوْمَ بَدْرٍ , وَحُمِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَكَرِهَ ذَلِكَ"(البيهقي، 2003م، 223/9، برقم"18353").

وقتالهT للناس وقتله إياهم -حين وجود المقتضى- كان بالطريقة المعتادة والمعروفة حينذاك وبالسلاح الذي كان مستخدماً في الحروب والقتال، ويقول تعالى في هذا الصدد آمراً المسلمين كيفية قتل المعتدين:{ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }[سورة الأنفال:12]. فالله عزوجل أمر المؤمنين بقتل الكفار في المقاتل بضرب الهامات والرؤوس التي هي محمولة فوق الأعناق، وبضربهم في غير المقاتل بتقطيع الأيدي والأرجل ذات البنان لأن الأصابع هي الآلات في أخذ السيوف والرماح وسائر الأسلحة، فإذا قطع بنانهم عجزوا عن المحاربة (الزحيلي، 1418ه، 271/9).

والسيف هو السلاح المستخدم في الحروب حينذاك، وعليه فضرب الاعناق بالسيوف لا يعني الذبح البتة كما يتوهم البعض، بل هذا الطريق الذي ذكره الله عزوجل كان من أرحم طرق القتل في ذاك الزمن حيث يريح المقتول في أسرع وقت ممكن دون أن يؤذيه فوق ما يتطلب الأمر، كما يقول ابن القيم: " وضرب العنق بالسيف أحسن القتلات وأسرعها إزهاقا للنفس وقد سن الله سبحانه في قتل الكفار المرتدين ضرب الأعناق دون النخس بالسيف"(ابن القيم، ص.31).

3.وأمر النبي T بالإحسان في القتلة حيث يقول:((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)) (مسلم، 1548/3، برقم"1955") والحديث -كما قال النووي-:"عام في كل قتيل من الذبائح والقتل قصاصا وفي حد ونحو ذلك وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام" (النووي، 1392ه، 107/13)

والطريقةُ الأيسر والأحسن للقتل هي: ضرب مؤخر العنق بالسيف ضربةً واحدةً –كما أمر الله تعالى به- يكون بها زهوق الروح، وقد جرى العمل على ذلك في مختلف العصور والأزمان.

ويقول ابن رجب(2004م، 382/1) : "والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوحاها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه... وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق"، وذبح الإنسان ليس من الإحسان بشيءٍ.

4.والذبح يعد من التمثيل بالجثث، والنبي T قد نهى عن ذلك فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَزِيدَ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ Tعَنِ النُّهْبَى وَالمُثْلَةِ)) (البخاري، 1422ه، 135/3، برقم"2474") ، وعن سليمان بن بريدة عن أبيه، أن النبيT قال: ((اغْزُوا باسم اللهِ، وفي سبيلِ اللهِ، وقاتِلُوا من كَفَر باللهِ، اغزُوا، ولا تَغدِرُوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتُلوا وليداً)) (مسلم، 1357/3، برقم "1731") ، وعليه فلا يعقل أن ينهيT عن شيءٍ ثم يفعله بنفسه، وهذا يعني أن الذبح الوارد في الحديث لايمكن بأي حال أن يراد به ذبح الانسان كما تذبح الحيوانات.

5.ورد في روايات أخرى ومنها حديث عمرو بن العاص أن المراد بالخطاب أشخاص معينين وليس كفار قريش كلهم، وهم الذين باشروا تلك السخريات والاستهزاءات بالنبيT وآذوه حتى أرادوا قتله كما هو مذكور في الحديث، ونصَّ حديث عبدالله بن مسعود عند البخاري بوضوح على أسماء هؤلاء حيث يقول :((كَانَ النَّبِيُّT يُصَلِّي فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَنَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَنُحِرَتْ جَزُورٌ بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ، فَأَرْسَلُوا فَجَاءُوا مِنْ سَلاَهَا وَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ، فَأَلْقَتْهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ» لِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ قَتْلَى)) (البخاري، 1422هـ، 44/4، برقم"2934") ولهذا نجد البيهقي(1988م، 274/2) وأبا نعيم(1986م، ص.208) ذكرا حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في دلائل النبوة حيث أن دعائهT هذا قد استجيب وتحقق كما طلب من الله تعالى وهذا يدل صدق نبوته وكمال صلته بربه عزوجل، ويؤيده قوله تعالى المذكور آنفاً:((وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا)) حيث لم يلبث هؤلاء القوم كثيراً من الزمن في مكة بعد إخراجهم الرسول منها حتى أهلكهم الله تعالى ولقوا حتفهم على يد المسلمين في أول مواجهة عسكرية وهي معركة البدر الكبرى، وتم قتلهم بالطريقة

المعروفة والمعهودة دون ذبح وقطع رأس وتمثيل بجثثهم الأمر الذي يبين بوضوح معنى قولهT" جئتكم بالذبح" بأنه كناية عن القتل والهلاك ليس إلا.

وبذلك يزول الإشكال عن معنى الحديث وتتلاشى الشبهات التي أثيرت حولها لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

5/ الخاتمة

وفي الختام نشكر الله تعالى أولاً على توفقيه إياي لإنجاز هذا العمل المتواضع، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يأتي:

1. البعد الزماني والمكاني في الحديث يعني الظروف والملابسات الزمانية والمكانية المحيطة به، ولها تأثير بالغ على فهم الحديث وبيان مراده.
2. لايمكن فهم السنة النبوية بشكل سليم ودقيق بمعزل عن تلكم الظروف والملابسات، وعليه يجب على الدراس لأي حديث من الأحاديث النبوية أن يأخذهما بنظر الاعتبار حينما يتناوله بالشرح والبيان.
3. حديث " **جئتكم بالذبح** " من الأحاديث التي شابته مغالطات واعترته شطحات بسبب عدم مراعاة ظروفه وحالاته من قِبل بعض الذين تصدوا له بالشرح والتفسير.
4. الحديث مروي بطرق وروايات مختلفة وألفاظ متقاربة، وهو حديث صحيح مقبول وفق قواعد المحدثين وأحكامهم.
5. صدر الحديث عن النبيT في ظرف زمني استثنائي خاص زامنته سلسلة من الممارسات الساخرة والاستهزاءات الشنيعة من قبل مشركي قريش بحقهT حتى وصل إلى محاولة قتله على مرأى الناس ومسمعهم.
6. وعليه يكون قولهT هذا جاء على سبيل التهديد والتخويف بالدرجة الأولى لردعهم وليكفوا عما يقومون به من السخرية والاضطهاد بحقهT والمؤمنين أجمع.
7. والحديث ليس عاماً بل الخطاب فيه كان لصناديد قريش خاصة الذين باشروا تلكم السخريات والاستهزاءات، وهذا ما يدل عليه ألفاظ الحديث بمختلف طرقه ورواياته.
8. خلافاً لبعض المتوهمين فإن" **الذبح** " الوارد في الحديث لا يعني قطع الأوداج كما تذبح الحيوانات بل هو كناية عن القتل والهلاك.
9. الحديث فيه دليل على صدق نبوتهT حيث تحقق الوعيد بعد فترة من الزمن على الذين سماهم النبي في دعائه عليهم بالهلاك.

6- المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

1. آبادي، م. (2009م) **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، الطبعة السادسة. ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية.
2. ابن أبي شيبة، أ. (1409هـ) **مصنف ابن أبي شيبة " الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار"**، الطبعة الأولى. الرياض: مكتبة الرشد.
3. ابن القيم، م. (بدون تاريخ) **الصلاة وأحكام تاركها**. المدينة المنورة: مكتبة الثقافة .
4. ابن حبان، م. (1988م) **صحيح ابن حبان**، الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.
5. ابن حبان، م.(1973م) **الثقات**، الطبعة الأولى. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية.
6. ابن حجر، أ. (1326هـ) **تهذيب التهذيب**، الطبعة الأولى. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية.
7. ابن حجر، أ. (1379هـ) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة.
8. ابن حجر، أ. (1986م) **تقريب التهذيب**، الطبعة الأولى. سوريا: دار الرشيد.
9. ابن رجب، ز. (2004م) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، الطبعة الثانية. القاهرة: دار السلام.
10. ابن سعد، ع. (1990م) **الطبقات الكبرى**، الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.
11. ابن عدي، أ. (1997م) **الكامل في ضعفاء الرجال**، الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.

12. ابن منظور، م. (1414هـ) **لسان العرب**، الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر.
13. أبو زهرة، م. (1425هـ) **خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم**. القاهرة: دار الفكر العربي.
14. أبو نعيم، أ. (1986م) **دلائل النبوة**، الطبعة الثانية. بيروت: دار النفائس.
15. أبو يعلى، أ. (1984م) **مسند أبي يعلى**، الطبعة الأولى. دمشق: دار المأمون للتراث.
16. أبوداود، س. (1408هـ) **المراسيل**، الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة .
17. أبوداود، س. (2009م) **سنن أبي داود**، الطبعة الأولى. بيروت: دار الرسالة العالمية.
18. أحمد. ح. (2001م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.
19. الألباني، م. (2003م) **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**، الطبعة الأولى. جدة: دار باوزير.
20. الآمدي، س. (بدون تاريخ) **الإحكام في أصول الأحكام**، بيروت: المكتب الإسلامي.
21. البخاري، م. (1422هـ) **صحيح البخاري**، الطبعة الأولى. دار طوق النجاة.
22. البزار، أ. (2009م) **مسند البزار " البحر الزخار"**، الطبعة الأولى. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
23. البيهقي، أ. (1988م) **دلائل النبوة**، الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.
24. البيهقي، أ. (2003م) **السنن الكبرى**، الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية.
25. الترمذي، م. (1975م) **سنن الترمذي**، الطبعة الثانية. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
26. تيلجي، ي. (2015م) **قراءة للحديث النبوي " لقد جئتكم بالذبح " .. مع إشارة لذبح داعش لـ (21 قبطيا)**، [على الخط] يمكن الحصول عليه: http://baretly.net/index.php?topic=44849.0. (يوم الزيارة 2017/7/6).
27. التيمي، م. (1418هـ) **مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**، الطبعة الأولى. السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
28. الثعالبي، ع. (بدون تاريخ) **اللطائف والظرائف**، بيروت: دار المناهل.
29. الحميدي، م. (1995م) **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة السنة.
30. حوى، س. (1995م) **الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية**، الطبعة الثالثة. بيروت: دار السلام.
31. الدوسي،ح.(2002م) الضوابط المنهجية للاستدلال بالأحاديث النبوية، **مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية**، كلية الشريعة، جامعة الكويت، 50 (17).
32. الذهبي، ش. (1985م) **سير أعلام النبلاء**، الطبعة الثالثة. بيروت: مؤسسة الرسالة.
33. الرازي، ع. (1952م) **الجرح والتعديل**، الطبعة الأولى. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية.
34. الزبيدي، م.(1994م) **اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
35. الزحيلي، و.(1418هـ) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الطبعة الثانية. دمشق: دار الفكر المعاصر.
36. الشاطبي، أ. (1997م) **الموافقات**، الطبعة الأولى. القاهرة: دار ابن عفان.
37. العجلي، أ. (1985م) **الثقات**، الطبعة الأولى. المدينة المنورة: مكتبة الدار.
38. العظيم آبادي، م.(1415هـ) **عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته**، الطبعة الثانية. بيروت:دار الكتب العلمية.
39. العمري، أ. (2013م) **السيرة النبوية الصحيحة**، الطبعة الثالثة. الرياض: مكتبة العبيكان.
40. الغوري، س. (2017م) **مباديء التعامل مع السنة النبوية**، الطبعة الأولى. بيروت: دار ابن كثير.
41. فخر الدين الرازي، م.(1420هـ) **مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"**، الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
42. القرضاوي، ي. (2008م) **كيف نتعامل مع السنة النبوية؟** الطبعة الخامسة. القاهرة: دار الشروق.
43. المباركفوري، ص. (1976م) **الرحيق المختوم**، الطبعة الثانية. بيروت: دار احياء التراث العربي.
44. المزي، ي. (1980م) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.
45. مسلم، ح. (بدون تاريخ) **صحيح مسلم**. بيروت: دار احياء التراث العربي.
46. الندوي، ع. (1425م) **السيرة النبوية**، الطبعة الثانية عشرة. دمشق: دار ابن كثير.
47. النووي، م. (1392هـ) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الطبعة الثانية. بيروت: دار احياء التراث العربي.
48. الهيثمي، ن. (1994م) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. القاهرة: مكتبة القدسي.

The temporal and spatial dimension and their impact on the understanding of the Sunnah of the –Hadith _I brought you to slaughter_ as an example

Imran Mohammed Ismael
College of Islamic sciences- Salahaddin University- Erbil
Imran.ismael@su.edu.krd

ABSTRACT

This research, entitled "The temporal and spatial dimension and their impact on the understanding of the Sunnah of the –Hadith _I brought you to slaughter_ as an example ", it's talking about a precise scientific way in understanding and interpreting the Sunnah, namely the taking into consideration circumstances of the Sunnah for explanation it, Because the understanding isn't be accurate without this method of analysis.

The research deal with Hadith "I brought you to slaughter" as an example in this way, where the misinterpretations about it which came from some groups and people that they said the Hadith is calling the muslim to terrorism, killing human and mutilation of the human killed, we attempted within this research to correction this wrong idea in a scientific manner, taking into consideration the circumstances of the temporal and spatial in its interpretation, It showed the Hadith does not give in any way the meaning which they went to, but the prophet (peace be upon him) said in order to intimidation and threat the Quraish to face a special attitude and remediation a difficult situation where the Prophet's life (peace be upon him) was at peril because of their maltreatment with him (peace be upon him).

Keywords: temporal, dimension, understanding, Hadith.

رەهەندی کاتی و شوێنی و کاریگەریەکەی لە تێگەیشتن لە سوننەت
- فەرموودەی " جئتکم بالذبح - وەك نمونە

عمران محمد المزوري
ماموّستای یاریدەدەر لە کوّلێژی زانستەئیسلامیەکان/ زانکوّی سەلاحەددین- هەولێر
Imran.ismael@su.edu.krd

پوختە

ئەم توێژینەوەیە لە ژێر ناونیشانی " رەهەندی کاتی و شوێنی و کاریگەریەکەی لە تێگەیشتن لە سوننەت - فەرموودەی " جئتکم بالذبح - وەك نمونە "، باس لە ڕێگەیەکی زانستی وردو گرینك دەکات بۆ تێگەیشتنیکی ڕاست لە فەرموودەکانی پێغەمبەر (درودی خوای لەسەر بیت) ئەویش ڕەچاوکردنی ئەو بارودوخەیە کە فەرموودەکەی تێیدا وتراوە لە کاتی ڕاڤەکرن و شیکردنەوەی، ئەگەر نا تەفسیری نادروست و ناپەسەند بۆ دەکریت و هەڵدەبەسترێت، وفەرموودەی " جئتکم بالذبح " نمونەیەکی زیندووی ئەم بواریە کە خەلکانێك بە ڕاڤە هەڵەکانیان گۆمان و دودلیان لە بارەوە دروست کردووە، بەوەی کە بانگەشە بۆ تیرور وکوشتنی مروڤ دەکات بەشیوەکی نامرۆڤانە، بەڵام لە کاتی تێفکرین و لێ وردبونەوەی و ڕچاوکردنی ڕەهەندە کاتی و شوینیەکانی دەردەکەوێت کە بەهیچ شیوەیەك ئەم مانا نادروست وناپەسندانە لەو فەرموودەیە ناخوێندرینەوە، وە ئەم توێژینەوەیە بە بەڵگەوە ئەم ڕاستیە دەسەلمێنێ و ئەوە دیار دەکات کە فەرموودەکە زیاتر بۆ ئاگادار کردنەوە و ترساندن گەورەکانی قورەیش بوو وەك چارەسەر بۆ بارودوخێکی سەختی ڕوبەڕووبونەوەی ئیوان پێغەمبەر (درودی خوای لەسەر بێت) و گەورەکانی قورەیش.

View publication stats